The hijab in Ancient Iraq
Dr. Marwan N. Mahdi Albalam
College of Education for Humanities - University of Anbar
Najahmarwan1976@gmail.com

Abstract

The problem of the hijab, which has spread in the country of Assyria without us from the rest of Mesopotamia, is a puzzle that stirred in our hearts and that I should look into this matter, and try to clarify and reveal the reasons that made the country of Assyria impose the veil on women. Through the research we tried to ask questions about the reasons for the spread of the veil in Assyria, as well as shed light on the external and internal factors that led to the wearing of women's Assyrian veil, I first began to define the veil terminology in the language and what it means, as well as other words and terms that It gives a similar meaning to the hijab, and we have shown the difference between wearing the hijab from urban women and rural women.

Key Words: The hijab, Ancient Iraq

المقدمة:

تعد حالة ارتداء الحجاب التي انتشرت في بلاد اشور دون بقية بلاد الرافدين احتجاجاً اثارت في فينا ولع للبحث في هذا الموضوع، وان احراز توضيح وكشف ما هو الأسباب التي جعلت بلاد اشور تفرض الحجاب على النساء. ومن خلال ثنايا البحث حاولنا طرح اسئلة لاحاولت فيها اسباب انتشار الحجاب في اشور ، فضلاً عن القاء الضوء على العوامل الخارجية والداخلية التي ادت الى ارتداء النساء الآشوريات للحجاب، وضحنا اولاً تعريف الحجاب اصطلاحاً في اللغة وما المقصود به.
فضلا عن الكلمات والمصطلحات الأخرى التي تعطي معنى مشابهة للحجاب، كما عرضنا الفرق بين من ارتدين الحجاب من نساء الحضر وبين نساء الريف.

ومن خلال بحثنا عن مكانتة المرأة في بلاد اثور خلال العهود الآشورية المختلفة سواء في العهد الآشوري القديم أو الوسيط أو الحديث، وجدنا اختلافا في مكانتها في العهد الآشوري القديم وبين مكانتها العهد الآشوري الوسيط والحديث.

وبمقارنة بين قانون حمورابي وقوانين العهد الآشوري الوسيط، نبين لنا أن قانون حمورابي كان أكثر انسجاما للمرأة من قوانين العهد الآشوري، فقد أعطى قانون حمورابي حرية وسماحة أكثر في الحياة من قوانين العهد الآشوري الوسيط.

وعن نافذة القول كان هناك فرقا بين طبقات المجتمع الآشوري، مما يطبق على السرايا والعمود في اثور، لم يطبق على نساء الطبقة الوسطى أو الحرة من النساء، كذلك لم يطبق على نساء العائلة المالكة.

خلاصة القول حاولت في بحثي هذا أن أدرس أحد القضايا الاجتماعية التي كانت منتشرة في بلاد اثور، وأسبابها ونتائجها.

الحجاب اصطلاحا:

الحجاب اصطلاحي (من الفعل حجب): ويستعمل للدلالة على كل ستر يوضع إمام شخص أو شيء ليحجب عنه الرؤية أو يعزله(1)، وحجب الشيء بحجابه حجابا وحجابه أي ستر، وكل من منع شيئا فقد حجبه(2)، وليس ارتداء الحجاب هو الانتقال من الطفولة إلى البلوغ ومن العزوبة إلى الزواج فقد استخدمت في تغطية الرأس والوجه عدة أسماء مثل ثهام وقناع ويرجع على أن الحجاب أبديل أيضا على القناع نفسه فإنه يشير بخصصته إلى نظامه(3).

ومن الملفت للنظر ارتداء الحجاب الحرم منه كل النساء في الحضر ولا إما نساء الطبقات المترفقة ولكن هذه السنة لم تراعي كل مراعاة من قبل نساء البدو أو الفلاحات أو النساء العاملات، فكان ارتداء الحجاب منتشر في المدن الحضرية إذ تطورت الحركات العقلية وانتشارت فيها(4)، وبعد هذا أن ارتداء الحجاب كان لفة معينة لم تكن تمارس الاعمال، فهذه الطبقة من النساء ميزت نفسها بارتداء الحجاب الذي لم يكن عائقا لها في ممارسة الأعمال أو الخروج خارج المنزل، أما بالنسبة للنساء العاملات أو الفلاحات فكان ارتداء عائقا لهم في ممارسة اعمالهن.

ويتضح ابن خلدون إلى الحجاب بأنه تصطعنه الدولة بما يتناسب مع حاجاتها المتطرفة(5)، أي بمعنى أخرى سياسة وحاجة دولة تفرض على المجتمع من أجل غاية معينة، في ظرف معين من أجل أن يتاسب الوضع الجديد مع الدور السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي في مرحلة زمنية معينة لتلك الدولة.

مركز المرأة في العهود الآشورية

لقد تمدحت المرأة الآشورية بحرية القيام بالأعمال المختلفة ولا سيما في العهد الآشوري القديم ”Old Assyrian Period“(6)، إذ كانت المرأة الآشورية في العصر الآشوري القديم أنها كانت تتمتع بحرية القيام بالأعمال التجارية ومن هذه الأعمال أنها تفرض كدانته ومدينة وكفيلة وتمتلك عقارات وعبيد وكانت لها اختام تحمل اسمائها(7)، وهذا يدل على الحرية والمساواة التي كانت تتمتع بها المرأة مع الرجل فقد كانت تمتلك استقلاليتها وعملها الخاص ومكانتها في المجتمع الآشوري.
د. مروان ناجح مهدي

الحجاب في العراق القديم

325

Middle Assyrian Period (1522-911 م.م.)

"Modern Assyrian Period" (911-613 م.م.)

وشاركت في الرجال من النساء في العراق القديم.

فاضلاً عن ذلك شاعر أستخدم نوع من طي الراض هو الطبقات في العهد الآشوري

الوصيط، وهي نوع من البدائل الضيقة ذات الحافات المزدوجة التي يغلب عليها اللوز،

وبهذا يتي من تأثيره الأولى الداخلية في عمل هذا النوع من البدائل إذ ارتداها

سكان بلاد اشور خلال تلك المرحلة الزمنية، كما أستخدم ظهور الراض المفتوح من الأعلى من

أجل معج الشعر ولهجة تحت الحجاب، بما يبرز مدله إلى شيء من القدسية.

وقد أدى هذه الأنكاك في مكانة المرأة في العهد الآشوري الوسيط كنت نتيجة

ظروف معينة تمثلت في ضغط السلطة المركزية في بلاد اشور محلي وسيطرة الكشبيين

والعائليين على حدود الرافدين، أدت بها إلى هذا التراجع الاجتماعي، غير أن

دور المرأة الآشورية قد عاد إلى الصدارة واحتلت مكانها الأولي مساحة للرجل في العصر

الآشوري الحديث.

وكمقارنة بين الوضع الاجتماعي بين مدينتي بابل واتور في تلك الفترة نرى

العائدة في بابل تحض لسلطة الاب وفلا بيئة للولد البكر على أن ثمة بونا شاصعا

بين وضع المرأة في بابل مشهورة في بابل ذلك من شريعة الملك

حمورابي "Hammurabi" (1750-1727 م.م.).

ومن هنا يظهر لنا أن الحجاب في العهد الآشوري القديم لم يكن موجودًا، وإن المرأة

الآشورية بدأت بارتداء الحجاب منذ العهد الآشوري الوسيط، والموضوع هنا يتطلب وقفة

تاريخية وسؤال تاريخي لماذا ظهر الحجاب في العهد الآشوري الوسيط؟

ووهذا ما نسطره في ثانيا البحث والاجابة عليه.

مني بيسب الحجاب

السؤال هو هل ترتدي المرأة الآشورية الحرة الحجاب حين تبلغ سن معين، أي

صبح بالغة أي حين تصل مرحلة المراهقة مثلًا، أو عندما يبلغ عمرها الثانية أو الثالثة عشر،

ام أن ارتداء الحجاب كان في موقف معين؟ ولن أرتداء الحجاب للمراهقة الحرة يكون حين

الزواج ومن ثم تنتقل من بيت أبيها إلى بيت زوجها؟ وهكذا، إن ارتداء الحجاب هو نتيجة

الزواج واحد اهداة وهل يلبس ارتداء الحجاب حين الطلاق أو حين وفاة الزوج؟

الحجاب عند الآشوريين من عام الخلافة شرفاً فلمرأة المتزوجة يجب أن تتحجب

بين العامة وكان ذلك يعد من العادات المميزة لها في القوانين الآشورية الوسيطة،

والحجاب هنا إذن ترتدي المرأة الآشورية فقط حين تتزوج، أي أنها قبل الزواج لم تلبس

(235)
الحجاب، فهو إذن يمثل للمرأة الحرة الآشورية رمزًا على كونها امرأة قد تزوجت ولم تعد بكرًا.

فالمرأة المتزوجة كانت محجبة بخمار(3) (تحاشياً لزي تعبئة في التلوث) فكان الزوج يغطي رأس المرأة وهو عمل يتضح في الاستعارة عن (الليل، الزوجة المحجبة) الزوجة المحجبة هي الإلهة كولا” Kula”، التي لا يستطيع أحد النظر إليها حتى من بعيد إشارة إلى يستعمل للتعبير عن غلق الباب والتحجب كتبًا، ولا تعرف طبيعة التحجب الآشوري كأن بوضع الخمار على الوجه فقط، أو ارتداء العباءة التي تغطي الرأس والوجه إذا لم تتعثر على منحوتات أو تصميم مسمار تخص الحجاب(1).

في المادة 400 من قوانين العهد الآشوري الوسيط التي تنص على:

لا يجوز لأية امرأة متزوجة كانت أم ارملة أو آشورية أن تخرج إلى الشارع العام دون غطاء على رأسها، بيات الرجال في ما إذا كان حجاب أو ميضة أو عباءة يجب أن تتحجب ولا يجوز لها تغطية الرأس، إذا......أو........أو فليس عليهم أن يتحجبو، أما إذا خرجوا إلى الشارع العام لم يلبس الحجاب أذن إذا خرجت سرية مع سيدها إلى الشارع العام فعليه أن يتحجب كما كان على القاديشتو المتزوجة ليس الحجاب إلا إذا لم تكون متزوجة فلا يجوز لها تغطية رأسها في الشارع ولا يجوز لها تج حد بل عليها أن تكشف رأسها وكل من يرى زانية محجبة عليه أن يقضي عليها ويجب مع رجلاً لاحراً كشحوذ عليها وقدمها إلى مدخل القصر(إلى السلطة الحكومية) ولا يجوز اخذ عليها ولكن الرجل الذي قضى عليها يأخذ ملابسهما ومن ثم تضرب خمسين جدة ويسكب القير على رأسها إذا رأى رجل زانية محجبة وتركها لحالة ولم يلبسها إلى مدخل القصر فسوف يضرب ذلك الرجل خمسين جدة ويسكب القير على رأسه ويفوض في خدمة أعمال الملك مدة شهر كامل ولا يجوز للمرأة المتزوجة أن تتحجب وكل من يرى امرأة محجبة عليه أن يقضي عليها ويجب لها إلى مدخل القصر حيث يقطع إليها ويأخذ الرجل الذي قضى عليها ثوابها، أما إذا رأى رجل امرأة محجبة وتركها لحالة ولم يلبسها إلى مدخل القصر فليتهم بذلك وثبتت تلك التهمة عليه سيف يضرب خمسين جدة ومن ثم تتلبس أنفه ويطبطط على قضيب خلفة رأسه والمرأة عليه أن يأخذ ثيابه وبعد ذلك يوضع في خدمة أعمال الملك مدة شهر كامل(1)"."

كما يوضح نص القانون أن الآشورية الزامها أو التي تتعلق –وإن لم يذكر القانون ذلك بصورة- فهي تتزوج بليس الحجاب طوال حياتها، فالمرأة الآشورية وكما بعين النص أصبح الحجاب لها بعد الزواج رمزًا لها بأنها امرأة متزوجة حرة أو كانت متزوجة حرة يظهر من نص القانون الآشوري الوسيط من ترتيت المرأة الحجاب وكذلك عقوبة الرجل والمرأة الذين خالفوا القوانين أو سكتاً عنها فقد كادت عقوبتهم شديدة فالرجل الذي يرى امرأة غير موضحة لها الحجاب وصحيح وسكت عنها بنال عقوبة قاسية بين الضرب وثقب الاذن ومضادة ملاحسة، وهي ليست بالعقوبة البينية وإن ذلت على شيء فإنما تدل على أن الجريمة في مخالفته قانون الحجاب هو جريمة كبيرة وتسقط عقوبة قاسية جدا.

ومن حقوق الزوج في القوانين الآشورية الوسيطة مع وجود زوجته الشرعية أن ينتسر بسرية واحدة، أو أكثر لكن يتوجب على هذه السرية أو الخادمة إذا ما خرجت بصحبة
سيدتها أن تغطي رأسها وفي ما خلا ذلك عليها ان تنزياً بزي الخادمات ما لم يرفعها زوجها إلى مقام الزوجية وذلك بأن يضع خماراً على راسها بحضور خمسة شاهد أو أكثر.((16))

"إذا اراد الرجل أن يضع الحجاب على سريره فعلياً أن يستعد أخسفة أو ستة من أصدقائه ويضع الحجاب عليها إمامهم ويقول ((هذه زوجته)) وتعتبر السرية من بعد هذا التصريح زوجة شرعية أما السرية التي لم تحجب إمام شاهد ولم يقل الزوج بخصوصها ((هذه زوجته)) فإنها ليست زوجته الشرعية بل تبقى سرية، وإذا توفي الرجل ولم يكن لزوجته المحجبة أولاد فعتبر أولاد السرايا أولاده ويحق لهما قسمة ميراث.((17))" والظاهر من هذا النص أن الرجل يستطيع أن يرفع أخذ وأخرى إلى مرتبة الزوجة ويصبح لها كل الحق في اقتسام الأثر وذلك بأن يضع الحجاب على راسها إمام تله من أصحابه ويعترف بأنها أصبحت زوجته وتتلق الرسميات من حرف الزوجة الشرعية وأن لم يضع الأصحاب إمام السرايا اكتسب زوجته رسمياً فإن الحجاب هذا أصبح هو دلاله على الزوج الشرعية من السرية أما أصحابه فهم كما يبدو الإعلان إمام الملا من هذا الزواج من تلك المرأة.

استنتج من ذلك أن ارتداء الحجاب في العصر الآشوري الوسيط كانت نتيجة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها بلاد اشوري بعد نهاية العصر الآشوري القديم وهذا يرجع إلى عمليات الإعلان الأول ونهائي دوله بابل وسطرة وكثير من مقتررات العراق فضلاً عن التراجع السياسي والحضاري التي أتس مه العراق في تلك الفترة والعامل الآخر الضغوط الذي تعرض لها الآشوريين في العهد الآشوري الوسيط من قبل جيرانهم سواء كانوا من الميثانيين أو الفينوين أو الكوشين.

الحجاب نساء القصر أو الملكات والأمرات

ومن الناحية النظرية فإن القانون الآشوري تحدث عن النساء بعامة وليس عن نساء القصر أو عن الملكات في غلب المفاهيم عن أزياء الآسرة الآشورية الملكية قليل هل ولا نعرف من الشيء الكثير إلا من خلال عدد من النصوصات، إذ يبدو أن الآشوريين لم يجدوا طريق النسيان في منحوتاتهم ومن جانب آخرنما القاذر أن يتجروا الكتبة والفنانين أتامكم رسم أو وصف ملبس الملكة والتي هي سيدات القصر كمدة لكتاباتهم فقد يعرضون أسقف البعوضات.(18)

ورغم قلة تلك المعلومات عن نساء القصر إلا أن بعض الرسوم تظهر لنا طبيعة ملبس الملكة، وقد يرى في الامن أن الملكة لم تكن ترتدي الحجاب في ذاك الفنضفОс بل يظهر من الرسوم ان شعرها كان طهراً للعيان وان كان صفاً حسب بطريقة تلامن طراز ذلك العصر، يظهر ذلك في وصف الملكة أشور شرث "فملبس الملكة اشور شرث والتي تظهر في لودة منحوتة وهي جالسة في رصعة زوجها الملك اشور بالانيل(Ashur-ban-aplu) (118-617 ق.م) بارتياح على اريكة في حديقة القصر العاصمية نينوى حيث تركي تويوماً ينصري صبر هو في تلك الحافرة الحافرة، رفع المصحوم وملحباً بطارق دائر وعلي كثيفين يشق عرض مرين بحل حلي دائرية أيضاً صغيرة الحجم وينتهي كل فستان والشال بأهداف خجولة رفيعة وكثيفة.(19)"

وهنا يظهر أن نساء القصر لم تطبق عليهم القوانين الآشورية بشأن ارتداء الحجاب للملكة المتزوجة وربما هذا ينسحب على بقية الأموريات سواء كانو متزوجات أو بكر. وبهذا من ارتداء الحجاب ارتدت الملكات الناجحة فهو كما يظهر رمز السلطة السياسية ودلالات على الملكوية ولم يكن بأي حال تعبير عن الحجاب أو كون الملكة متزوجة.
فازت نساء الأسرة الحاكمة التيجان، هي أحد رموز القوى الآلهية التي تُمنحها ن.- مين-تا سيدة التاج أوائلها، فقد كان الملكة نفية (Zakutu)، زوجة سنحاريب (Ashur-Sharrat)，“Sennacherib” المُتشابهان بدرجة كبيرة في كونهما بشكل دائي يمثلان إبراز دور المدينة(1).

فُسّر على ذلك استخدم نساء العصر الآشوري قفّرتات ذات حافات مُهدية فضلا عن استخدامهن قفّرتات كثيرة أثناء، واستخدمن نساء الحاكمة عصابات الجبين والعظام والمركبيا المصنوعة من القطن أو من مقات حجري ورفع الخيوط تلف حول الرأس لفحة وناء من الطول أكثر من خمسة اذرع وله طيات خفيفة(2)، كما ان نساء القصر كن حريصات على الجلابة بشعورهن وتصفيه على شكل ضفائر أو قد يجمع بعضهم تشوّد حول الرأس وتظهر نهاياته على شكل أمواج والمعروف تسميتها (أكلم) التي تعني غلافا أو عبرية وهي لفحة تطابق اللفة العلمية لتقال الرأس الذي يُفش حول الرأس وهو نوع من الحبل المصنوع من وع النسيج، هذا فضلا عن استخدامهم الشعر المستعار والتحديد الضفائر التي كانت تثبت بشكل دقيق بواسطة شرائط ويراعي فيها ان تكون متجانسة مع لون الشعر الحقيقي لتبدو جميلة وطبيعة(3).

وبدأ أن الحجاب لم يكن مفروضا على نساء العصر الآشوري، فالحصرية بالراسم أو التزيين يكون بوضع خلق من شعر مستعار ليزيدنون ذلك جمالا، وهو أحد سمات نساء الصر الآشوري، وناء الآشوري آخر أن نساء الصر لم يكونوا يخرجون إلى الأسواق وان خرجوا تكون حياتهم من ذلك لم يفرض الحجاب عليهم، والذي يؤدي هذا الرأي صور الملكات الآشوريات المنحوتة في تظهرهم بدون حجاب وجلسين مع ازواجهم كما في صورة روطكة الملك اشوربانيال، وان القانون الذي طبق على المرأة الآشورية حين تتزوج كانت سيدات الصر معفية منه ولم يلتزم به.

الاستنتاجات:

1- لم يكن الحجاب مفروضا على النساء في العصر الآشوري القديم وكانوا يرتدين به النساء في العصر الآشوري الوسيط.
2- كان الحجاب ممزا في عصر الآشور، وليست النساء الآشوريات فقط، ولم ينتشر في بقية انتهاق المرأة القديم.
3- يعد الحجاب للمرأة الآشورية رمزًا للزواج وانه حرة وليست أو سرية.
4- إن أي أمرأ تزوجت الحجاب كانت عقوبتها جدًا شديدة بين الجلد وسكل الفقر عليها، وكذلك للرجل الذي يُستتر أو لا يبلغ عن آميمة شاهدة محجبة وهي غير مسموح لها بالحجاب.
5- لم يطبق أرادة الحجاب على نساء العائلة المالكة أو نساء الصر.
6- كان فرض الحجاب في مدينة آشور نتيجة الأزمة التي عاشها العراق القديم بعد إنهيار الإمبراطورية البابلية، والفراغ السياسي وتعرض العراق القديم إلى سيطرة أقام متخلفة عنه حضارية.
7 - لا يطبق الأشوريون قانونهم الخاص بارتداء الحجاب على الأقوام التي سيطروا عليهم خارج العراق القديم.

الالاحات:

(1) دائرة المعارف الإسلامية، (القاهرة، دار الشهاب، بلا تاريخ)، ج1، ص19.
(2) ابن منظور، الإفضاء جمال الدين، إبن منقرم، نلس العلم، بيروت، دار صادر، بيروت 1986، ص1.
(3) دائرة المعارف، ص320، وكانت سنة الحجاب مرجعية من قبل مجي الإسلام الذي أن الحجاب كان ميزة النساء من دوقة خاصة، وكان يشير إليه باسمة جاشف وسجف، المصدر نفسه، ص320.
(4) المصدر نفسه، ص231.
(5) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، (القاهرة، فاروس للنشر والتوزيع، 2012)، ص126.
(6) الرواية، فاروق، الوضع الاجتماعي (مجموعة حضارة الموصل) (المؤلف، دار الكتب للطاعة والنشر، 1991)، ص1.
(7) عراق وقلصاد، عقدة، ودازد، بغداد، دار الحرية للطاعة، 1989، ص144، والمزيد أنظر الفتاوى الإشورية الماده 37 من اللوح الأول.
(8) المصدر السابق، ص270، 1981.
(9) المصدر السابق، ص14.
(10) المصدر السابق، ص271.
(11) المصدر السابق، ص6.
(12) المصدر السابق، ص93.
(13) المصدر السابق، ص287.
(14) المصدر السابق، ص156.
(15) المصدر السابق، ص6.
(16) المصدر السابق، ص195.
(17) المصدر السابق، ص195.
(18) المصدر السابق، ص324.
(19) المصدر السابق، ص91.
(20) المصدر السابق، ص91.
(21) المصدر السابق، ص256.
سنحاريب خليفة سرجون الأشوري اتخذ من نينوى عاصمة له واتسم حكمه بالسيطرة على بلاد الشام والوصول إلى الحدود المصرية. (للللمزيد ينظر، بافر، ط، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1956، ج1، ص 193.)

(27) اشترت شراث ويعني اسمها ملكة اشور زوجة الملك اشور بانيبال وتظهر في الصور جالستا مع زوجها منصرين بالقضاء على عيلام، للمزيد انظر، عقراوي، المصدر السابق، ص 260.


(28) مصطفى، المصدر السابق، ص 94.

(29) المصدر نفسه، ص 95.